Journal Of the Iraqia University (76-4) 31 July (2026)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

اللقاء الحضاري بين الاسكيا محمد وجلال الدين السيوطي

مدرس دكتور زهراء يوسف اسماعيل

جامعة بغداد/ كلية الآداب

The Cultural Encounter Between Al-Asqia Muhammad and Jalal al-Din al-Suyuti

PHD. Zahraa Youssef Ismail
zahraa.y@coart.uobaghdad.edu.iq

الملخص

يتناول هذا البحث ظاهرة التواصل الحضاري بين أقاليم العالم الإسلامي بوصفها أحد أبرز تجليات وحدة الأمة الإسلامية عبر التاريخ، متخذًا من اللقاء الحضاري بين الأسكيا محمد، حاكم دولة السونغاي في غرب إفريقيا في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، والعالم الموسوعي جلال الدين السيوطي نموذجًا بارزًا لهذا التفاعل.ويبرز البحث كيف أسهم هذا التواصل في تجاوز الحواجز الجغرافية والبيئية، مؤكدًا عالمية الإسلام وقدرته على توحيد الشعوب ضمن منظومة معرفية وثقافية مشتركة .ويركّز البحث على دوافع الأسكيا محمد في الاستعانة بعلماء المشرق الإسلامي وفي مقدمتهم السيوطي، بهدف ترسيخ شرعية حكمه، وتعزيز الإصلاح الديني والسياسي، ونشر علوم الشريعة واللغة العربية في دولته.كما يسلّط الضوء على المكانة العلمية الرفيعة للسيوطي، الذي شكّلت مؤلفاته وفتاواه مرجعًا معتمدًا لحكام المسلمين في مختلف الأقاليم، بما فيها بلاد السودان الغربي .ويستند البحث إلى رسائل وفتاوى السيوطي الموجهة إلى حكام بلاد التكرور، كما وردت في كتاب رسائل بلاد التكرور لجلال الدين السيوطي، باعتبارها شواهد تاريخية توثّق طبيعة العلاقة العلمية والفكرية بين المشرق الإسلامي وغرب إفريقيا. كلمات مفتاحية:
(الاسكيا، السيوطي، بلاد السودان، الحج، الرحلات)

Abstract:

This study examines the phenomenon of civilizational interaction among the regions of the Islamic world as one of the most prominent manifestations of the unity of the Islamic Ummah throughout history. It takes as a representative model the civilizational encounter between Askia Muhammad, ruler of the Songhai Empire in West Africa in the ninth century AH / fifteenth century CE, and the encyclopedic scholar Jalāl al-Dīn al-Suyūṭī. The study highlights how this interaction contributed to transcending geographical and environmental barriers, affirming the universality of Islam and its ability to unite diverse peoples within a shared intellectual and cultural framework. The research focuses on the motives behind Askia Muhammad's reliance on scholars of the Islamic East—foremost among them al-Suyūṭī—with the aim of consolidating the legitimacy of his rule, strengthening religious and political reform, and promoting the sciences of Islamic law and the Arabic language within his state. It also sheds light on the eminent scholarly status of al-Suyūṭī, whose writings and legal opinions served as authoritative references for Muslim rulers across various regions, including the lands of the Western Sudan. The study is based on the letters and legal opinions addressed by al-Suyūṭī to the rulers of the lands of Takrūr, as recorded in his work Rasāʾil Bilād al-Takrūr (Letters to the Lands of Takrūr), considering them historical evidence that documents the nature of the scholarly and intellectual relationship between the Islamic East and West Africa. Keywords: (Askia, al-Suyuti, the Land of the Sudan, Hajj, Travels)

١ـ مقدمة البحث

يُعدّ التواصل الحضاري بين أقاليم العالم الإسلامي أحد أبرز مظاهر وحدة الأمة الإسلامية على مر العصور، حيث أسهم العلماء والحكام في بناء شبكة معرفية وثقافية تجاوزت حدود الجغرافيا واختلاف البيئات (الشحي، ٢٠٢٥، ١٥٢)، ويأتي اللقاء الحضاري بين الأسكيا محمد حاكم دولة السونغاي في غرب إفريقيا في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وجلال الدين السيوطي العالم الموسوعي وأحد أعلام مصر والشام

في نفس الحقبة، مثالًا بارزًا لهذا التفاعل، فقد كان الأسكيا محمد يسعى إلى إصلاح دولته سياسيًا ودينيًا وترسيخ الحكم الإسلامي بها، فاتجه إلى الاستعانة بالعلماء من المشرق الإسلامي لتدعيم مكانته الشرعية وضمان انتشار علوم الشريعة واللغة العربية بين رعيته، ومن أبرز هؤلاء العلماء الإمام السيوطي الذي ذاع صيته في العالم الإسلامي بفضل مؤلفاته المتنوعة في علوم القرآن والحديث واللغة والتاريخ، حتى عُرف بـ"خاتمة الحفاظ" و"إمام عصره". (السيوطي، ٢٠١٣، ١٨) وقد مثّل هذا التواصل الحضاري بين الحاكم الإفريقي والعالم المشرقي انعكاسًا حيًا لعالمية الإسلام، حيث لم تكن المسافات البعيدة أو اختلاف البيئات عائقًا أمام تدفق الأفكار والمعارف، بل كان ذلك التفاعل سببًا في تعزيز الهوية الإسلامية في غرب إفريقيا وتأكيد الروابط الثقافية والشرعية بين مختلف أقطار العالم الإسلامي. ومن هنا تتجلى أهمية هذا البحث الذي يسعى إلى تحليل أبعاد هذا اللقاء الحضاري، وإبراز نتائجه الفكرية والثقافية، مع التركيز على دور العلماء في ترسيخ الوحدة الإسلامية وبناء الجسور بين الشرق والغرب الإسلامي في تلك المرحلة التاريخية.ومن أبرز الشواهد على هذا اللقاء الحضاري ما أورده دراسة الدكتور إسماعيل حامد إسماعيل علي. في كتابه "رسائل بلاد التكرور لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م " بتحقيق الدكتور محمد جمال حامد الشوربجي، الذي جمع فيه مجموعة من المراسلات والفتاوى الموجهة إلى حكام إفريقيا الغربية، وفي مقدمتهم الأسكيا محمد حاكم دولة السونغاي، وتكشف هذه الرسائل عن طبيعة العلاقة العلمية والفكرية التي ربطت المشرق الإسلامي ببلاد السودان الغربي، إذ لم تقتصر على الاستفتاء في المسائل الشرعية، بل تعدتها إلى ترسيخ قيم الحكم الرشيد وفق الشريعة الإسلامية، وتوجيه الحاكم نحو الإصلاح الديني والاجتماعي، وتمثل هذه المراسلات وثيقة تاريخية وحضارية مهمة، إذ تعكس مدى اهتمام حكام إفريقيا السوداء بالارتباط بالمراكز العلمية الكبرى في العالم الإسلامي، كما تؤكد المكانة العلمية المرموقة التي تمتع بها السيوطي، الذي كان مرجعًا لزعماء المسلمين حتى في الأقاليم البعيدة جغرافيًا عن المشرق. (السيوطي، ٢٠٢٤، ٥٥)

٢ إشكالية البحث

تتمثل إشكالية هذا البحث في محاولة فهم طبيعة اللقاء الحضاري الذي جرى بين الأسكيا محمد، حاكم دولة السونغاي في غرب إفريقيا، والإمام جلال الدين السيوطي، العالم الموسوعي المصري البارز في القرن التاسع الهجري، وذلك من خلال دراسة ما خلفته هذه العلاقة من مراسلات وفتاوى جمعت في كتاب "رسائل بلاد التكرور". فالسؤال المركزي الذي يطرح نفسه هو: كيف أسهم هذا اللقاء الحضاري في تعزيز التواصل الفكري والديني بين المشرق الإسلامي وبلاد السودان الغربي؟ ومن هذا السؤال تتفرع مجموعة من التساؤلات الفرعية: ما هي الدوافع التي جعلت الأسكيا محمد يلجأ إلى علماء المشرق، وعلى رأسهم السيوطي، رغم البعد الجغرافي وتباين البيئات؟ وكيف عكست استجابات السيوطي في فتاواه ورسائله اهتمام العلماء بدعم التجارب السياسية والإصلاحية في أطراف العالم الإسلامي؟ وما الأبعاد الحضارية التي ترتبت على هذا التفاعل، سواء في ترسيخ الشريعة الإسلامية في غرب إفريقيا، أو في نشر العلوم الشرعية واللغة العربية، أو في تعزيز وحدة الأمة الإسلامية عبر امتدادها الجغرافي والثقافي؟إن الإجابة عن هذه الإشكالية تقتضي الكشف عن محتوى تلك المراسلات والفتاوى، وتحليلها في ضوء السياق التاريخي والسياسي للدولتين، وبيان أثرها في تكوين وعي حضاري مشترك يتجاوز الحدود السياسية ليعبر عن عالمية الرسالة الإسلامية.

٣ -أهداف البحث

إبراز البعد الحضاري لعلاقة السيوطي بالأسكيا محمدتوضيح دور العلماء في ربط أقاليم العالم الإسلامي (المشرق – المغرب – إفريقيا السوداء). دراسة أثر هذا اللقاء في تطور الثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا.الكشف عن قيمة المراسلات والفتاوى التي تبادلها الطرفان.

٤ أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول جانبًا مميزًا من تاريخ التفاعل الحضاري والفكري في العالم الإسلامي، يتمثل في العلاقة بين الأسكيا محمد، حاكم دولة السونغاي في غرب إفريقيا، والإمام جلال الدين السيوطي، أحد أعلام المشرق الإسلامي في القرن التاسع الهجري، فهذه العلاقة لم تكن مجرد تبادل رسائل أو طلب فتاوى، بل كانت جسرًا حضاريًا يربط بين مركزين من مراكز العالم الإسلامي، أحدهما في إفريقيا السوداء والآخر في مصر التي كانت آنذاك إحدى العواصم العلمية الكبرى، وتبرز الأهمية العلمية للبحث في اعتماده على مصدر أصيل هو كتاب "رسائل بلاد التكرور" الذي يكشف عن طبيعة المراسلات بين الطرفين ويعكس الدور الذي لعبه العلماء في دعم التجارب السياسية والإصلاحية خارج حدودهم الجغرافية، مما يؤكد عالمية المعرفة الإسلامية وتداخل فضاءاتها الثقافية، أما الأهمية الحضارية فتتجلى في إبراز أثر هذا اللقاء في نشر العلوم الشرعية وتعزيز مكانة اللغة العربية وترسيخ الشريعة الإسلامية في غرب إفريقيا، بما ساهم في بناء هوية دينية وثقافية متماسكة لا تزال آثارها

ممتدة حتى اليوم. كما أن لهذا البحث أهمية معاصرة، إذ يقدم نموذجًا عمليًا لكيفية توظيف التواصل الفكري والعلمي في توحيد الشعوب الإسلامية وتعزيز قيم التعاون والتكامل الثقافي، وهي دروس يحتاجها العالم الإسلامي في مواجهة تحديات العصر.

٥. منهجية البحث

يرتكز هذا البحث على الجمع بين عدد من المناهج العلمية التي تتكامل فيما بينها للوصول إلى رؤية شاملة لطبيعة اللقاء الحضاري بين الأسكيا محمد والإمام جلال الدين السيوطي. ففي المقام الأول، يعتمد البحث على المنهج التاريخي من أجل تتبع السياق السياسي والديني والثقافي لكل من دولة السونغاي في غرب إفريقيا وعالم المشرق الإسلامي في القرن التاسع الهجري، وذلك للكشف عن الظروف التي مهدت لحدوث هذا التواصل، وكما يوظف البحث المنهج الوصفي التحليلي في دراسة محتوى الرسائل والفتاوى التي تضمنها كتاب رسائل بلاد التكرور، ومن خلال تحليل النصوص للكشف عن دلالاتها الشرعية والسياسية والحضارية. وإلى جانب ذلك، يستفيد البحث من المنهج المقارن عبر موازنة تجربة الأسكيا محمد والسيوطي مع نماذج أخرى من التفاعل الحضاري بين الحكام الأفارقة والعلماء المسلمين في أقاليم مختلفة، وذلك لتوضيح ما يميز هذه التجربة وما تضيفه إلى فهمنا لوحدة الثقافة الإسلامية عبر أقاليمها، ويقوم البحث أيضًا على المنهج النقدي في التعامل مع المصادر، حيث تتم قراءة النصوص والوقائع في ضوء ظروفها التاريخية دون إسقاطات معاصرة، مع التحقق من مصداقية الروايات المختلفة ومقارنتها بالمصادر الأخرى مثل كتب التاريخ والتراجم. ومن خلال هذا التكامل المنهجي يسعى البحث إلى بناء تصور علمي متكامل لأبعاد اللقاء الحضاري المدروس، يجمع بين التوثيق التاريخي والتحليل الفكري والنقد العلمي.

٦- الدراسات السابقة

رغم الأهمية التاريخية والحضارية التي يمثلها اللقاء بين الأسكيا محمد والسيوطي، إلا أن الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بشكل مباشر تظل محدودة، حيث تناول معظم الباحثين شخصية السيوطي من زاوية إنتاجه العلمي الغزير ومكانته بين علماء عصره، بينما تطرقت دراسات أخرى إلى تاريخ دولة السونغاي وإصلاحات الأسكيا محمد السياسية والدينية، دون أن تعطي عناية كافية لطبيعة العلاقة بينه وبين علماء المشرق، ومن بين أبرز المراجع التي يمكن الاستفادة منها في هذا السياق كتاب "رسائل بلاد التكرور" للإمام السيوطي، الذي يمثل المصدر الأساسي لتوثيق المراسلات والفتاوى الموجهة إلى حكام إفريقيا الغربية، ويكشف عن أبعاد العلاقة بين الطرفين، وكما اهتمت بعض الأبحاث الحديثة بتاريخ غرب إفريقيا الإسلامي، ومن بينها دراسات تناولت دور المراكز العلمية في تمبكتو وصلة علمائها بعلماء المشرق، إضافة إلى أبحاث متفرقة ركزت على الأثر الحضاري لدولة السونغاي في نشر الإسلام واللغة العربية في المنطقة، وتوجد أيضًا دراسات تناولت شخصية الأسكيا محمد باعتباره نموذجًا للحاكم المصلح الذي سعى إلى توطيد الشريعة الإسلامية من خلال الاستعانة بالعلماء وطلب الفتاوى من المشرق، غير أن هذه الدراسات لم تدمج بعد بين شخصية السيوطي ودور الأسكيا محمد في إطار واحد يكشف عن أبعاد اللقاء الحضاري بينهما، ومن هنا تأتي مساهمة هذا البحث في سد هذه الفجوة العلمية من خلال الجمع بين البعدين: دراسة المراسلات والفتاوى الواردة في رسائل التكرور، وربطها بالسياق التاريخي والحضاري لدولة السونغاي، بما يتيح إعادة قراءة هذا اللقاء كحدث حضاري فريد له دلالات عميقة على وحدة الثقافة الإسلامية وعالمية رسالتها.ومن أبرز الدراسات التي تناولت شخصية الإمام السيوطي **دراسة ميمني (٢٠١٨) بعنوان "الإمام جلال الدِّين عبدالرَّحمن بن أبي بكر السُّيوطي (تُ٩١١هـ)- معالِمُ سِيرَتِهِ ومسِيرَتِهِ"** المنشورة في مجلة الحكمة للدراسات التاريخية. وقد هدفت هذه الدراسة إلى تقديم صورة شاملة عن السيوطي من خلال إبراز معالم سيرته ومسيرته العلمية، والتعريف بإنتاجه الفكري الغزير في مختلف العلوم الشرعية واللغوية والتاريخية، مع توضيح مكانته بين علماء عصره، وتكمن أهميتها في أنها وضعت إطارًا واضحًا لفهم شخصية السيوطي باعتباره أحد أعلام القرن التاسع الهجري الذين امتد تأثيرهم إلى مختلف أرجاء العالم الإسلامي، وهو ما يفسر إقبال الحكام البعيدين جغرافيًا عن المشرق، مثل الأسكيا محمد حاكم السونغاي، على الاستفادة من علمه وفتاواه، وقد خلصت الدراسة إلى أن السيوطي كان عالمًا موسوعيًا امتاز بغزارة الإنتاج العلمي والقدرة على الإفتاء في مختلف القضايا، مما جعله مرجعًا موثوقًا للعلماء والحكام على حد سواء، وأكدت على اتساع تأثيره ليشمل المغرب وبلاد السودان الغربي إلى جانب المشرق. غير أن هذه الدراسة، على الرغم من قيمتها في توثيق سيرة السيوطي العلمية، لم تتطرق بصورة مباشرة إلى طبيعة العلاقة التي ربطته بالأسكيا محمد ولا إلى مضمون رسائل بلاد التكرور التي تجسد اللقاء الحضاري بينهما، وهو ما يشكل فجوة علمية يسعى هذا البحث إلى سدها من خلال دراسة هذا التفاعل الحضاري وتحليل أثره في توطيد الهوية الإسلامية في غرب إفريقيا.ومن الدراسات التي اهتمت بشخصية الأسكيا محمد الكبير ودوره في بناء دولة السونغاي، **دراسة بوقنسوس وعبد المالك (٢٠١٥) بعنوان "الأسكيا محمد الكبير مؤسس مملكة سنغاي (١٤٩٣-١٥٢٨م)"**. وقد ركزت هذه الدراسة على إبراز شخصية الأسكيا محمد باعتباره قائدًا إصلاحيًا نجح في ترسيخ أركان الحكم الإسلامي في غرب إفريقيا، حيث

تناولت أبعاد مشروعه السياسي والديني والعسكري، والكيفية التي تمكن بها من تحويل مملكة سنغاي إلى إمبراطورية قوية ذات نفوذ واسع في المنطقة، وتتمثل أهمية هذه الدراسة في أنها أبرزت دور الأسكيا محمد في دعم انتشار الإسلام وتثبيت أحكام الشريعة، إلى جانب عنايته بالعلم والعلماء من خلال تشجيع الحركة العلمية في تمبكتو وغيرها من المراكز الثقافية. وقد خلصت الدراسة إلى أن نجاح الأسكيا محمد لم يكن عسكريًا أو سياسيًا فحسب، بل كان بالأساس دينيًا وحضاريًا، إذ استطاع أن يجعل من مملكته قاعدة لانطلاق الثقافة الإسلامية واللغة العربية في عموم السودان الغربي. غير أن هذه الدراسة، على الرغم من قيمتها في توضيح إنجازات الأسكيا محمد وإصلاحاته، لم تتعرض بتفصيل للعلاقة التي ربطته بعلماء المشرق الإسلامي، ولا للمراسلات التي جمعته بالإمام جلال الدين السيوطي، وهو ما يبرز الفجوة التي يسعى هذا البحث إلى سدها عبر التركيز على اللقاء الحضاري الذي جسدته تلك العلاقة الفكرية والتواصل العلمي بين الطرفين.

الهيكلة المقترحة للبحث

المبحث الأول: الإطار العام الخلفية التاريخية للأسكيا محمد ودولته.التعريف بجلال الدين السيوطي ومكانته العلمية.الظروف السياسية والدينية في القرن التاسع الهجري.**المبحث الثاني: اللقاء الحضاري** المراسلات بين الأسكيا محمد والسيوطي.الفتاوى التي طلبها الأسكيا محمد.دور هذا اللقاء في تعزيز سلطة الإسلام في غرب إفريقيا.**المبحث الثالث: الأبعاد الحضارية والفكرية** أثر هذا اللقاء في نشر العلوم الشرعية في بلاد السودان الغربي.مكانة اللغة العربية في ظل دولة الأسكيا.انعكاسات اللقاء الحضاري على وحدة الأمة الإسلامية.

المبحث الأول: الإطار العام

- **الخلفية التاريخية للأسكيا محمد ودولته.**

يُعدّ الأسكيا [١] (السعدي، ١٩٦٤، ٧٢)، محمد بن عبد الله بن يوسف الكبير واحداً من أبرز وأعظم سلاطين مملكة سنغاي [٢] الإسلامية (علي، ١٩٩٧، ٢١)، التي برزت بقوة على مسرح الأحداث السياسية في غرب أفريقيا [٣]خلال النصف الأخير من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي (التكتيك، ١٩٩٨، ٢٨)، وواصلت ازدهارها حتى القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي. (الفيتوري، ١٩٩٨، ٣١٣-٣١٤) أما عن ميلاده، فتشير المصادر إلى أنّ مملكة التام التزمت بتحديد عمره حين تولّى مقاليد الحكم في سنغاي وهو في الخمسين من عمره، وبناءً على ذلك يمكن استنتاج أنّه وُلِد عام ٨٤٩هـ/١٤٤٣م، إذ تولّى السلطة عام ٨٩٩هـ/١٤٩٣م. (السعدي، ١٩٦٤، ٣١)وقد اختلفت الروايات التاريخية حول أصوله؛ فبعض المصادر تذكر أنّه من أصول عربية قَدِم أسلافه من بلاد المغرب العربي إلى منطقة سنغاي (علي، ١٩٨٧، ٢٢) ، بينما يذهب آخرون إلى أنّه من أصول بربرية نزحت من الصحراء الكبرى (الوفراني، ١٨٨٨، ٨٩). وهناك تسجيلات تنسبه إلى مملكة مالي (طرخان، ١٩٧٣، ٢٥)، في حين يرى بعض المؤرخين أنّه من قبيلة السونكي، إحدى قبائل الماندنجو (أبو لقمة، ١٩٨٨، ٢٣٥)، بينما أرجعته روايات أخرى إلى قبائل الفولاني (الفيتوري ،١٩٩٨، ٢٨-٢٩)[٤] التي يُقال إنّه وفد منها إلى منطقة سنغاي من غرب أفريقيا، رغم أنّ هذه القبائل لم تكن تقيم في تلك المنطقة آنذاك (عبد الرازق، ١٩٩٢، ٢٨)وأياً ما كان أصل الأسكيا محمد الكبير، فإنّ ما اتفقت عليه المصادر المختلفة هو مكانته البارزة في التاريخ الإسلامي ودوره المحوري في النهوض بمملكة سنغاي. فقد بلغت المملكة في عهده أوج مجدها واتساعها، إذ امتدت حدودها شمالاً حتى بلاد المغرب، وجنوباً إلى أراضي الموسى(حسن، ١٩٥٧، ٨٦-٨٨)[٥]، وشرقاً إلى ولايات الهوسا (محمد، ٢٠٠٣، ٣٠)، [٦]ومملكة برنو(طرخان، ١٩٧٥، ٤٣)[٧]، وغرباً حتى مواطن الماندنجو والفولاني. (التكتيك، ١٩٩٨، ٥١)وقد انعكس هذا الاتساع على مكانته بين علماء عصره، الذين أثنوا عليه ثناءً عظيماً. فوصفه المؤرخ محمود كعت في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي بقوله: «وله من المناقب وحسن السياسة والرفق بالرعية واللطف بالمساكين ما لا يُحصى، ولا يوجد له مثل لا قبله ولا بعده. كان محبّاً للعلماء والصالحين والطلبة، كثير الصدقات، مواظباً على أداء الفروض والنوافل، ومن عقلاء الناس ودهاتهم، متواضعاً للعلماء، باذلاً المال والنفس لهم، قائماً بمصالح المسلمين، مزيلاً للبدع والمناكر والظلم، مقيماً للدين أتم قيام، مطلقاً لكل من ادعى الحرية من الاسترقاق، رادّاً المظالم إلى أهلها، مجدداً لشعائر الدين، ناصباً القضاة والأئمة.» (بمبا، ٢٠١٤، ١٥٩-١٦٠)أما التنبكتي فقد ذهب إلى أبعد من ذلك، إذ قال عنه: «إنّ الأسكيا محمد يصلح لحكم دولة بني العباس، بل وكل دولة أخرى غيرها» (السعدي، ١٩٦٨، ١٦٤). ويؤكد السعدي، مؤرخ القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، هذا التقدير قائلاً: «ففرّج الله تعالى به عن المسلمين الكروب، وأزال عنهم البلاء والخطوب، واجتهد في إقامة ملّة الإسلام وإصلاح أمور الأنام، وصاحب العلماء واستفتاهم في أمور الحلّ والعقد.» (بمبا، ٢٠١٤، ١٦٨)وكان من أبرز مظاهر تدينه حبّه للسنة النبوية وإكرامه للعلماء، إذ كان إذا دخلوا عليه أنزلهم منزلة رفيعة وخصّهم بعطاياه السخية (السعدي، ١٩٦٤، ٥٩). ويُذكر في هذا السياق أنّه أهدى للقاضي أبي البركات محمود بن عمر أقيت جاريةً كريمة لديه وأمره أن يتخذها سرية، ثم أتبعه بهدية من ألف مثقال من الذهب قائلاً له: «إن أنجبت لك ذكراً فاقسم هذا المال

باسمي؛ ألف له، وإن كانت أنثى فأعطها خمسمائة ولك خمسمائة». وقد أنجبت هذه الجارية ولداً أصبح فيما بعد فقيهاً بارزاً هو القاضي محمد بن محمود. (السعدي، ١٩٦٤، ١٨٣)وبذلك تحولت مملكة سنغاي في عهده إلى نموذج يحتذى في مختلف مجالات الحياة بغرب أفريقيا، حيث عمّت العدالة واستتب الأمن بفضل حُسن تنظيمه وكفاءته في إدارة الحكم، كما شهدت المملكة نهضة ثقافية بارزة. وتوّج ذلك برحلته الشهيرة لأداء فريضة الحج.

- **التعريف بجلال الدين السيوطي [٨]ومكانته العلمية.**

الاسم الكامل لهذا العالم هو جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي. ويُنسَب إلى السيوطي نسبةً إلى بلدة أسيوط في صعيد مصر، وهي موطن أسرته الأصلي قبل أن يغادرها والده متوجهاً إلى القاهرة، وُلد في القاهرة ليلة السبت، الموافق الأول من رجب سنة ٨٤٩هـ/٣ أكتوبر ١٤٤٥م.[٩]وتحكي رواية متداولة عن هذا العلّامة الشهير في العصر المملوكي أنه بدا منذ ولادته مقدَّراً له أن يخلّد اسمه في ميدان العلم. إذ يُقال إن والدته – وكانت جارية شركسية – قد أنجبته في مكتبة والده، حين دخلت تبحث عن كتاب، ولذلك لُقّب بـ ابن الكتب إشارةً إلى ارتباطه بالعلم منذ مولده (أو ربما بسبب شغفه الشديد بالقراءة وتعلّقه الدائم بالكتب فيما بعد). كما عُرف بلقب جلال الدين، أي "جلال الدين الإسلامي"، تقديراً لعطائه العلمي، وينحدر السيوطي من أسرة فارسية الأصل، تعود جذورها إلى بغداد حيث عاشت في حي الخُضيريّة، قبل أن تستقر في أسيوط. كان والده أبو بكر كمال الدين قد انتقل إلى القاهرة لإكمال دراسته في الفقه الإسلامي، ثم تولّى منصب قاضٍ معاون ودرّس الفقه الشافعي [١٠] في جامع الشيخ بالقاهرة، كما عمل خطيباً في جامع ابن طولون، أقدم أثر عباسي خارج العراق. توفي والده سنة ٨٥٥هـ/١٤٥١م وكان السيوطي حينها في السادسة من عمره. غير أن والده كان قد رتّب أوضاعه المادية بشكل مكّنه من مواصلة مسيرته العلمية، حيث تولى رعايته مجموعة من العلماء الذين كانوا أصدقاء والده أو من تلامذته، فحرصوا على تنشئته علمياً، وفي القرن الخامس عشر الميلادي، كانت القاهرة مركزاً للحياة العلمية الإسلامية، رغم ما واجهه المماليك من أزمات سياسية واجتماعية واقتصادية. فقد ظلّت النخبة العلمية قوية الإنتاج، كما ساعد نظام الأوقاف على استقلال المؤسسات التعليمية العليا. وفي هذا الجو العلمي المتميّز نشأ السيوطي.بدأ تعليمه في سن مبكرة جداً، إذ كان عمره ثلاث سنوات عندما أخذه والده ليستمع إلى دروس كبار العلماء مثل ابن حجر العسقلاني (ت. ٨٥٢هـ/١٤٤٩م)، أحد أعظم المحدّثين في العالم الإسلامي. وبحلول سن الثامنة كان قد أتمّ حفظ القرآن الكريم كاملاً. وبفضل سمعة والده، إلى جانب نبوغه المبكر، سُمح له بحضور حلقات دراسية في علوم الشريعة (الفقه، الحديث، التفسير، العقيدة)، إلى جانب علوم اللغة العربية من نحو وأدب وبلاغة، وذلك على يد نخبة من العلماء، منهم:جلال الدين المحلي (ت. ٨٦٤هـ/١٤٥٩م)، المتخصص في أصول الفقه والعلوم الشرعية.علاء الدين صالح بن عمر البلقيني (ت. ٨٦٨هـ/١٤٦٤م)، قاضي القضاة.شرف الدين يحيى بن محمد المناوي (ت. ٨٧١هـ/١٤٦٧م).محيي الدين محمد بن سليمان الكافيجي (ت. ٨٧٩هـ/١٤٧٤م)، عميد المدرسة الشيخونية. ويُقال إنه تلقّى العلم عن أكثر من مئة شيخ. ولهذا أصبح السيوطي عالماً موسوعيّاً متميزاً في عدة مجالات، منها: علم الحديث، الفقه، التفسير، واللغة العربية.تأثر السيوطي بمجموعة من كبار العلماء الذين برزوا في علوم الدين واللغة والأدب بفروعها المختلفة، وقد بدأ طلب العلم سنة ٨٦٤هـ، فدرس الفقه والنحو وعلم الفرائض، ولم تمض سنتان حتى حصل على إجازة بتدريس اللغة العربية. كما ألّف كتابه الأول بعنوان شرح الاستعاذة والبسملة وهو في السابعة عشرة من عمره، وقد أثنى عليه شيخه علم الدين البلقيني فكتب له تقريظاً. ولازم السيوطي شيخه في دراسة الفقه حتى وفاته، ثم استمر في ملازمة ابنه بعده، وقد جلس السيوطي على يد ما يقارب مئة وخمسين شيخاً، وكان منهجه في التلقي أن يختار شيخاً واحداً يلازمه، فإذا توفي انتقل إلى غيره، وهو ما يعكس حرصه على التدرج المنهجي في التحصيل العلمي. (السيوطي، ١٩٦٧، ٣٣٥)ألّف جلال الدين السيوطي عدداً كبيراً من الكتب والرسائل، وقد أورد عناوين معظمها في رسالته فهرست مؤلفاتي. وقد أحصى له بروكلمان نحو ٤١٥ مؤلفاً، بينما ذكر حاجي خليفة في كشف الظنون ما يقارب ٥٧٦ مؤلفاً، ووصل العدد عند بعض المؤرخين كابن إياس في تاريخ مصر إلى نحو ستمئة مؤلف. تناولت هذه المؤلفات طيفاً واسعاً من العلوم، شملت: التفسير وعلوم القرآن، الحديث وعلومه، الفقه، اللغة وعلومها، البلاغة وفنونها، التاريخ، إضافةً إلى رسائل ومصنفات أخرى في مجالات معرفية متعددة، وقد شاءت إرادة الله أن يُحفَظ معظم هذا التراث النفيس في المكتبات العربية والإسلامية، حيث طُبعت غالبية كتبه القيمة، وأصبحت موضوعاً للدراسة والبحث الأكاديمي، إذ تناولها العديد من الباحثين في رسائل الماجستير والدكتوراه، ولا يزال الكثيرون ينهلون من علمه إلى اليوم. (السيوطي، ١٩٦٧، ٢٣٦)

- **الظروف السياسية والدينية في القرن التاسع الهجري.**

امتلكت مملكة سنغاي نُظماً إدارية ومالية متقدمة، عُدّت الأولى من نوعها في منطقة السودان الغربي. فبعض هذه النظم كان أصيلاً، نشأ مع بدايات تكوين الدولة في مراحلها الأولى، وبعضها الآخر امتدادٌ لما عرفته ممالك السودان الغربي السابقة مثل مملكة غانا ومملكة مالي

(الفيتوري،١٩٩٨ ، ٢٣٣)، قبل أن تدخل سنغاي مرحلة الإمبراطورية. كما تأثرت هذه النظم بالخبرة المستوحاة من العالم الإسلامي، بشقّيه المشرقي والمغربي، ولاسيما في عهد الأسكيا محمد الكبير، الذي بلغت النظم الإدارية في عصره ذروة تطورها حتى باتت تضاهي ما لدى دول الجوار في المغرب. (منصور، ١٩٩٧، ٦٥)ومن أبرز إنجازاته أنّه أنشأ نيابة للملك في تندرم وأسندها إلى أحد إخوته، وهو عمر كمزاغ، نظراً لوقوع العاصمة في طرف المملكة، ولتسهيل الإشراف على الأقاليم الأخرى. كما ألغى النظام القديم القائم على توكيل رؤساء القبائل مقابل الاحتفاظ بأبنائهم كرهائن، وقسّم الإمبراطورية إلى ولايات، عيّن على كل منها والياً من أقربائه أو عبيده المخلصين. وقد استمر هذا النظام في عهد خلفائه من الأساكي، الذين أبقوا على هذا التقسيم وأسلوب التعيين. (زبادية، ١٩٧٨، ١٥٤-١٤٧)

وكانت هذه الولايات على النحو الآتي:

ولاية كورما: تقع غرب النيجر، وكان واليها أول الأمر يقيم في جاو[١١] (الوزان، ٢٠٠٥، ٥٤٣)، ثم انتقل إلى تنديرما. وقد عُدّ ممثلاً للحكومة في الغرب كله، مما منحه امتيازاً خاصاً على حكام الأقاليم الغربية.ولاية بالاما: تقع على حدود بلاد الموسى في الجنوب الغربي من الإمبراطورية.

ولاية دندي: تقع جنوب العاصمة، وتتخذ من مدينة جوجيا مركزاً لها.ولاية بانجو: تشمل المنطقة المحيطة ببحيرة ديبو، وبما أن الإقليم كان يضم مدن العلم والتجارة في سنغاي، فقد امتاز حاكمه بامتياز خاص، إذ كان الوحيد المسموح له بدخول العاصمة مع فرقته الخاصة من ضاربي الطنبور.ولاية هاربياندا: يمتد إقليمها على الضفة اليمنى لنهر النيجر المقابلة للعاصمة جاو.رئاسة نهر النيجر: وكان يشرف عليها قائد الأسطول، وتُعرف وظيفته الإدارية باسم كوبي. (زبادية، ١٩٧٨، ٣٤-٣٥)يُعَدّ منصب القضاء من أهم المناصب في مملكة سنغاي الإسلامية، إذ وُجد منصب قاضي القضاة في العاصمة أو في أبرز المدن شهرة. وقد تمتّع القضاة بمكانة رفيعة ومركز بارز في الدولة، حيث شكّلوا طبقة تلي طبقة الملوك والأمراء من حيث النفوذ السياسي. ولهذا حظوا بتقدير واحترام كبيرين من الخاصة والعامة، لما لهم من دور فعّال في مجتمعهم. فقد ارتبطوا بعلاقات متينة مع السلطة الحاكمة، شملت الجوانب الثقافية والاجتماعية والسياسية، كما شغل بعضهم وظائف عليا ومناصب دينية كبرى، أسهموا من خلالها في تطوير الجهاز الإداري والسياسي للدولة. ومن خلال سلطتهم، عملوا على تنظيم حياة الناس وبسط الأمن بينهم. (السعدي، ١٩٦٤، ٥٧)وقد أولى السلطان الأسكيا الحاج محمد الكبير (٨٩٩-٩٣٤هـ / ١٤٩٣-١٥٢٨م) عناية خاصة بالقضاة، فعندما تولى الحكم أصدر قانوناً يقضي بإعفاء هذه الطبقة من الضرائب، وهو ما أشار إليه المؤرخ التنبكتي ناقلاً قوله على لسان السلطان:"وقد أسقطنا جميع وظائف السلطة وغراماتها، بحيث لا يتعرض لهم أحد بشيء حتى في الضيافة، ومنعنا عنهم ظلم الحكام. وإذا دخل عليه العلماء قام لهم إجلالاً وتقديراً. (كعت، ١٩١٣، ١٧٤-١٧٥)نظرًا للأهمية الجغرافية لمملكة سنغاي في منطقة غرب أفريقيا، فقد تمركزت معظم الوحدات الرئيسية للجيش في العاصمة، وذلك لأسباب أمنية وسياسية وعسكرية. وكان السلطان هو القائد العام للجيش، يساعده عدد من القادة العسكريين الكبار وضباط الوحدات، حيث جرى تقسيم الجيش إلى صفوف بحسب نوعية الأسلحة المستخدمة، مع تخصيص نظام خاص وأدوات محددة لكل فرقة. فالمشاة كانوا يتقدمون الصفوف الأولى، يليهم الفرسان في الصف الثاني، بينما تمركزت الخيالة في المؤخرة بالقرب من القيادة العليا للجيش. أما المساعدون فقد توزعوا على الجوانب، متغيرين في مواقعهم تبعًا للحاجة أو لسد الثغرات أثناء المعارك. في حين شكّل الحرس الخاص طوق حماية حول السلطان، ولم توكل إليهم مهام قتالية مباشرة، بل اقتصر دورهم على حمايته والدفاع عنه عند الضرورة.(السعدي، ١٩٦٤، ٧٢)أما فيما يتعلق بالانتساب للجيش، فقد كان في عهد السلطان سني علي (٨٦٩-٨٩٨هـ / ١٤٦٤-١٤٩٢م) إلزامياً (كير، ١٩٧٨، ٨٣)، حيث فُرض على كل من يقدر على حمل السلاح، ويتم تقدير العدد المطلوب وفق الحاجة. غير أن الأمر شهد تحولاً في عهد الأسكيا محمد الكبير (٨٩٩-٩٣٥هـ / ١٤٩٣-١٥٢٨م)، إذ أصبح الجيش أكثر تنظيماً، والالتحاق به قائماً على التطوع بدلاً من الإلزام، مما جعله جيشاً دائماً يقوم على الرغبة والاختيار. (زبادية، ١٩٧٨ ، ٦٥-٦٦)اتسمت علاقات مملكة سنغاي مع الممالك المجاورة في كثير من الأحيان بطابع الحروب والتوتر. فبعد أن استقر السلطان الأسكيا محمد الكبير في حكمه عقب عودته من الأراضي المقدسة، بدأ بالتخطيط لتوسيع دائرة سلطانه ومعاقبة الخارجين عن طاعته (الدالي، ١٩٩٦، ١٦٠). وقد قاد عدة حملات وغزوات كان لها أثر كبير في توسيع رقعة المملكة؛ إذ غزا سنة ٩٠٤هـ/١٤٩٨م مملكة الموسى الوثنية، فخرب كثيراً من قراها وسبى العديد من سكانها، غير أنه لم يتمكن من إخضاعها لسلطانه. (محمود، ١٩٨٥، ٢٢٧)وفي حملاته اللاحقة، غزا ملك زنفري وسيطر على أراضيه وضَمَّها إلى مملكته (الدالي، ١٩٩٦، ١٦١). ثم جهّز حملة كبيرة سنة ٩٠٥هـ/١٤٩٩م، وتوجّه إلى عاصمة مالي، كما غزا بلدة أير سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م، ثم دخل عاصمة مالي نفسها (السعدي، ١٩٦٤، ٧٥). وفي سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م بعث أخاه عمر لغزو بلدة زلن من إقليم مالي، لكنها استعصت عليه (التكتيك، ١٩٩٨، ٦٦)، مما اضطر الأسكيا محمد إلى قيادة جيش كبير لمساندته، حيث نازل ملك مالي وانتصر عليه، فدخل بلدتي كشن وزلن وخربهما ودمّر مقر الأسرة الحاكمة، لتخضع بذلك مملكة مالي بكامل أقاليمها القديمة لحكمه، ممتدة حدودها من

تكدا شرقاً حتى شواطئ المحيط الأطلسي غرب. (السعدي، ١٩٦٤، ٧٥)وفي سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م أرسل الأسكيا جيشاً إلى بلدة برك الوثنية، فضمها إلى سلطانه بعد قتال شاق، كما حارب قبائل الصوصو الوثنية (حسن، ١٩٦٣، ١٠٠) [١٢]. وفي سنة ٩١٧هـ/١٥١١م غزا بلدة فاغن فرن، ثم توجه إلى لازار بعد أن بلغه أن فيها رجلاً ادّعى النبوة، فهاجمها وضَمَّها سنة ٩١٨هـ/١٥١٢م. وبعد ذلك غزا إقليم أقذر وفرض سلطانه عليه نظراً لأهميته الاقتصادية. (الدالي، ١٩٩٦، ١٦٦–١٦٧)فيما يخص علاقات مملكة سنغاي ببلاد المغرب العربي، فإنها لم تستقر على وتيرة واحدة، إذ تذبذبت بين السلم والعداء. ويظهر ذلك بوضوح في علاقتها مع الدولة الوطاسية (٨٧٦–٩٦١هـ/١٤٧١–١٥٥٣م)، حيث اتجهت العلاقات في بعض مراحلها نحو التعاون وتبادل المصالح، فقد بعث سلطان فاس محمد الوطاسي، الملقب بـ"البرتغالي" (١٥٠٥–١٥٢٤م)، سفارة إلى مملكة سنغاي، كان هدفها الأساس تعزيز التبادل التجاري بين الجانبين خلال تلك الفترة. (محمود،١٩٨٥ ،٨٠–٨١)وعلى الجانب الآخر، اتسمت العلاقات مع الأشراف السعديين (٩١٥–١٠٦٩هـ/١٥١٠–١٦٥٨م) بطابع من التوتر والفتور السياسي في معظم الأحيان. فمنذ بروز دولتهم في المغرب سنة ٩١٥هـ/١٥١٠م، سعوا إلى السيطرة على موارد وثروات السودان الغربي، وبخاصة الذهب في مناجم تغازة، إلى جانب استجلاب العبيد من تلك المناطق. وقد أدت هذه النزعة التوسعية إلى اندلاع صراعات وحروب مستمرة مع مملكة سنغاي، استمرت حتى سقوطها في القرن الحادي عشر الهجري/ أواخر القرن السادس عشر الميلادي. (محمود، ١٩٨٥، ٨١)

الظروف الدينية

دام حكم الأسكيا محمد الكبير لمملكة سنغاي نحو ستة وثلاثين عامًا وستة أشهر (السعدي، ١٩٦٤، ٨٠). ويُعد من أبرز إنجازاته خلال فترة حكمه رحلته إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج، والتي تمت في شهر صفر سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م، بعد أن استتب له الأمر داخليًا، فأجرى إصلاحات إدارية وتنظيمية واسعة في المملكة. خرج الأسكيا في موكب مهيب ضمّ عددًا كبيرًا من حرسه وخدمه وكبار قواده والعلماء (الدالي، ١٩٩٦، ٦٦)، حيث تألفت قافلته من نحو خمسمائة فارس وألف رجل تقريبًا، وحمل معه كميات ضخمة من الذهب والكنوز، إذ بلغ ما حمله نحو ثلاثمائة مطعمة من الذهب، تصدّق بكثير منها في مكة؛ فقدّم ألف مثقال من الذهب صدقة، كما اشترى بها بساتين ووقفها لأهل بلده، بالإضافة إلى اقتنائه كتبًا نفيسة وسلعًا ثمينة بلغت قيمتها مائة ألف مثقال من الذهب. (الدالي، ١٩٩٦، ٦٥–٦٦)ولأهمية هذه الرحلة في تاريخ مملكة سنغاي، توسعت المصادر التاريخية في ذكر تفاصيلها. فقد روى المؤرخ التنبكتي (ت. القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي) – الذي رافق الأسكيا في رحلته – قائلاً: «وعمّمه شريف مكة، وقدّمه وولّاه، وألبسه العمامة الزرقاء وسمّاه الإمام» (كعت، ٢٠١٤، ١٦٩–١٧٠). كما أضاف السعدي أنّ الأسكيا محمد طلب من شريف مكة أن يجعله خليفة على أرض سنغاي، فاستجاب له ومنحه قلنسوة وعمامة من عنده، ليصبح بذلك «خليفة صحيحًا في الإسلام» (السعدي، ١٩٦٤، ٧٣). ويؤكد الوفراني ما أورده كل من التنبكتي والسعدي، حيث ذكر أن الأسكيا التقى بالخليفة العباسي في القاهرة، وطلب منه أن يُفوّضه في إمارة بلاد السودان، فوافق الخليفة وجعله نائبًا عنه في تلك الأقاليم، مانحًا إياه الشرعية الدينية والسياسية. (الوفراني، ١٨٨٨، ٨٩)وخلال إقامته في مصر التقى الأسكيا الحاج محمد الكبير بالعالم الجليل جلال الدين السيوطي، حيث أخذ عنه مبادئ العقيدة، وتعلم منه أحكام الحلال والحرام، وسمع منه طائفة من آداب الشريعة وأحكامها، فانتفع بوصاياه ومواعظه. وعند عودته إلى السودان، عمل على نصرة السنة وإحياء منهج العدل، مقتديًا في ممارساته السياسية والإدارية بنهج الخليفة العباسي في مقعده وملبسه وسائر شؤونه. كما مال إلى اتباع السيرة العربية في الحكم، وعدل عن تقاليد العجم، الأمر الذي انعكس إيجابًا على أوضاع المملكة، إذ استقرت أحوالها وزال عنها ما كان يعتريها من اضطرابات.وقد عُرف الأسكيا الحاج محمد بسعة صدره ورقة قلبه وتواضعه، فكان شديد التعظيم لأئمة الدين، محبًا للعلماء، مكرمًا لهم في مجالسه، موسعًا عليهم في العطاء. واتسم عصره بالرخاء والطمأنينة، فلم تعرف المملكة في أيامه مظاهر الفقر أو الحروب، واستمر على هذا النهج حتى وافته المنية. (الناصري، ١٩٥٥، ١٠١–١٠٢)وتكشف هذه الشواهد التاريخية، على قصرها، عن الأثر البالغ لرحلة الأسكيا إلى المشرق الإسلامي، إذ أسهمت في رفع مكانته السياسية والعلمية والدينية، ومنحته الشرعية الدينية التي استند إليها في تعزيز سلطانه وتوسيع رقعة دولته في غرب أفريقيا. كما شكّلت هذه الرحلة نقطة تحول في سياسته الداخلية والخارجية، حيث عاد الأسكيا مفعمًا بالحماس لنشر تعاليم الإسلام، وإعادة تنظيم شؤون مملكته وفق القيم الإسلامية (منصور، ١٩٩٧، ٦١–٦٢)

المبحث الثاني: اللقاء الحضاري

- **المراسلات بين الأسكيا محمد والسيوطي.**

لقد كانت المراسلات العلمية أحد الروافد المهمة للنهضة الإسلامية في غرب أفريقيا، إذ أسهمت في توجيه الدعاة إلى المنهج السليم والأسلوب القويم في التعامل مع المدعوين، كما كان لها دور بارز في تصحيح بعض العقائد والأفكار المنحرفة، وفي التعليم ونشر الوعي الإسلامي بين

المسلمين، فضلًا عن معالجة الخلافات وبيان أسبابها وآثارها السلبية على وحدة الأمة الإسلامية.ويُعد هذا النوع من المراسلات تقليدًا قديمًا في غرب أفريقيا منذ عصور الإمبراطوريات الإسلامية الكبرى، شأنها في ذلك شأن سائر مناطق العالم الإسلامي. ومع ذلك، فإن هذا المجال لم يحظ – فيما نعلم – بدراسة علمية متخصصة، سواء من زاوية دعوية أو تاريخية أو تعليمية تربوية.ومن أبرز الأمثلة القديمة على هذه المراسلات ما قام به الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، حيث راسل سلاطين بلاد التكرور عامة، وسلطان كاشنه على وجه الخصوص (الآلوري، ١٩٧٨، ٨٩). وقد تضمّنت رسائله الوصيةَ بتقوى الله، والتذكير بالآخرة، والتحذير من الاغترار بزينة الدنيا، والدعوة إلى مناصرة حملة الشريعة في ما يواجهونه من مشكلات، إلى جانب إنكاره بعض المخالفات الشرعية التي بلغه وقوعها في تلك الديار.ويورد تاريخ الفتاش للمحمود كعت أنّ الأسكيا محمد الكبير، إمبراطور مملكة سنغاي الإسلامية، التقى السيوطي في مصر عند عودته من أداء الحج (كعت، ١٩١٣، ١٢–١٣)، وطرح عليه عددًا من المسائل، فجاءت أجوبة السيوطي متوافقة مع ما أفتى به علماء السودان، ومن بينهم الفقيه محمد المغيلي وغيره. (كعت، ١٩١٣، ١٥)تُعَدّ للسيوطي مراسلة علمية أخرى على صلة بغرب أفريقيا، جرت بينه وبين الفقيه الكبير الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت ٩٠٩هـ). فقد دار بينهما نقاش علمي حول قضية المنطق، إذ ذهب السيوطي إلى تحريمه، بينما أجاز المغيلي استعماله ودافع عنه وردّ على اعتراضات السيوطي. وقد نُظمت هذه المراسلات في أبيات شعرية، ونقل بعضًا منها العالم أحمد بابا تنبكتي. (تنبكتي، ١٩٨٩، ٩٨)وقد شاع في بعض الروايات أنّ السيوطي زار غرب أفريقيا، وأقام في كاشنه وأغدز وكانو، ثم عاد إلى مصر، وأنه التقى بالمغيلي في السودان حيث جرت بينهما مناظرة مباشرة حول المنطق. إلا أن الروايات اختلفت في تحديد مكان اللقاء: أهو في كاشنه، أم في تكده، أم في تنبكتو (الآلوري، ١٩٧٨، ٨٩–٩٠)غير أن الأرجح – وهو ما ذهب إليه عدد من الباحثين – أنّ المناظرة لم تكن حضورياً، وإنما جرت عبر المراسلات والسيوطي في مصر. ويدعم هذا الرأي عدة اعتبارات؛ منها أنّ زيارة كبرى كهذه لو حدثت لورد ذكرها في المصادر التاريخية، خاصة أنّ رسائله السابقة إلى ملوك وسلاطين غرب أفريقيا قد أُذيعت واشتهرت. فكيف تُغفل المصادر إشارة إلى زيارة شخصية السيوطي نفسه؟! ولا سيما أنّ في كتابه الحديث بنعمة الله إشارات متكررة إلى لقاءاته في القاهرة بوفود الحج القادمة من بلاد السودان الغربي من السلاطين والقضاة وطلبة العلم، وأخذه عنهم وأخذهم عنه وقراءتهم لكتبه (السيوطي، ١٩٧٢، ٢١١). وهذا ما يعزز القول بأن رواية الزيارة إنما هي رواية شفوية تحتاج إلى دليل أقوى لتأكيدها، وهو ما أشار إليه العلامة آدم الألوري – رحمه الله – حيث أوردها بصيغة التمريض (يقال)أما بالنسبة لمؤلفات المغيلي وفتاواه الموجهة إلى الأسكيا محمد الكبير، سلطان إمبراطورية سنغاي، وإلى أمير كانو أبي عبد الله محمد رنفا بن يعقوب، فالراجح أنّه كتبها أثناء إقامته في بلاط كل منهما، وفي سياق مباشر لخدمتهما السياسية والدينية. (المغيلي، ١٩٧٤، ٣٢)المراسلات بين الأسكيا محمد الكبير (ت. ١٥٣٨م) حاكم مملكة سنغاي في غرب إفريقيا، وبين جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت. ٩١١هـ/١٥٠٥م) الإمام والعالم المصري، تُعدّ من الشواهد التاريخية المهمة على التواصل العلمي والفكري بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي (وخاصة غرب إفريقيا) في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.

أبرز الموضوعات التي تناولتها هذه المراسلات تمثلت في: (السيوطي، ٢٠٢٤)

ركزت المراسلات على قضايا سياسية مرتبطة بشرعية السلطة، حيث طلب الأسكيا محمد الكبير من السيوطي تأكيد مشروعية توليه الحكم بعد إطاحته بالملك السابق سني علي، وإبراز أن السلطة تقوم على أسس دينية قائمة على الشورى والعدل. وفي الجانب الديني، سعى الأسكيا إلى الاستفادة من مكانة السيوطي العلمية ليمنح دعائم حكمه بعداً شرعياً مدعوماً بالمرجعية الإسلامية من الأزهر الشريف، بما يعزز وحدة الأمة الإسلامية في غرب إفريقيا.تناولت المراسلات مسائل فقهية تتعلق بكيفية تطبيق الشريعة الإسلامية في مجتمع متنوع ثقافياً وإثنياً، حيث واجهت مملكة سنغاي تحديات كبيرة في نشر قيم الإسلام بين القبائل المختلفة. وقد قدم السيوطي عبر هذه المراسلات توجيهات فقهية واجتماعية تساعد في تأصيل الإسلام، وضبط العلاقة بين الحاكم والرعية على أسس شرعية.تكشف هذه المراسلات عن الدور الحيوي للعلماء في بناء الجسور بين أطراف العالم الإسلامي، وعن مكانة القاهرة كمركز للمرجعية الدينية في إفريقيا. كما أن هذه المراسلات ساهمت في تعزيز مكانة تمبكتو كمركز للعلم والمعرفة الإسلامية، حيث انتشرت آثار السيوطي وآراؤه الفقهية في أوساط العلماء هناك، مما ساعد في ترسيخ الهوية الإسلامية للمجتمع السنغاي.

- **الفتاوى التي طلبها الأسكيا محمد.**

في إطار المراسلات التي دارت بين الأسكيا محمد الكبير (ت ١٥٣٨م) حاكم مملكة سنغاي، والإمام جلال الدين السيوطي (ت ١٥٠٥م)، برزت مجموعة من الفتاوى الشرعية التي طلبها الأسكيا، والتي تعكس حرصه على بناء دولته وفق أسس الشريعة الإسلامية. فقد كان يسعى لترسيخ مكانته كحاكم شرعي، وتعزيز شرعية دولته في أعين رعيته والعالم الإسلامي. ومن أبرز ما طلبه من الإمام السيوطي:

- فتاوى تتعلق بشرعية حكمه بعد أن أطاح بالملك سني علي وأبنائه، حيث أراد أن يطمئن إلى أن توليه الحكم لم يكن اغتصابًا للسلطة بل يمكن اعتباره إصلاحًا وردًا للحق.
- مسائل تتصل بواجبات الحاكم المسلم، خاصة فيما يتعلق بإقامة العدل، ورعاية مصالح الرعية، وحماية بيضة الإسلام في بلاد السودان الغربي.
- أحكام مرتبطة بالضرائب والجباية، وكيفية تنظيمها بما يوافق الشرع ويبتعد عن المظالم التي اشتهرت بها الأنظمة السابقة.
- قضايا الإصلاح الديني والتعليمي، حيث طلب توجيهًا حول دور العلماء في نشر العلم الشرعي، وتعليم الناس مبادئ الدين، وتطهير البلاد من البدع والممارسات المخالفة للإسلام.
- فتاوى حول الجهاد والدفاع عن الدولة، خصوصًا مع وجود أخطار خارجية، إذ كان يسعى لضمان مشروعية حروبه ضد خصومه، وبيان الفرق بين الجهاد المشروع والقتال لأغراض سياسية.

هذه الفتاوى لم تكن مجرد أسئلة عابرة، بل كانت جزءًا من مشروع إعادة أسلمة المجتمع والدولة في غرب إفريقيا، وجعل الحكم في سنغاي متصلاً مباشرة بالمركز العلمي والديني في المشرق الإسلامي، مما أضفى على الدولة قوة رمزية ومشروعية إضافية.وقد عُرف عن جلال الدين السيوطي اطلاعه على بلاد تكرور وزيارته لها (حسن، ١٩٥٧، ١١١/ ١)، كما أن له فتاوى وردت إليه من تلك الديار، فأرسل إليها أجوبته (السيوطي، ٢٠٠٠، ٣٤٥). ولو كان السيوطي على علم بما يُروى عن نبوءة بسيكو آمدو في ماسنة من أرض تكرور في القرن الثاني عشر الهجري، لَما خفي ذكرها في شيء من مؤلفاته الكثيرة، إذ عُرف بدقة رصده وتوثيقه للأحداث.أما فيما يتعلق بشرط القرشية التي أيدها السيوطي، فإن من المستبعد أن يجعلها من نصيب رجل لا ينتسب إلى قريش، ولم يُعرف عن سيكو آمدو أنه ادعى الانتساب إلى قريش أو إلى آل بيت النبي ﷺ، باستثناء ما أورده فدبوا من أنه "أشاع كونه من آل النبي، لأن أحدًا رآه يتزوج من آل البيت". غير أن هذا القول لا يستند إلى دليل محقق، ولا يثبت نسبًا شرعيًا عن طريق المصاهرة أو غيرها. (Dubois, 1897, 153)ومن ثم فإن علاقة النبوءة المنسوبة إلى الفتاش بكلام السيوطي تبقى محدودة بما هو معروف من تصريحه بظهور عشرة خلفاء وانتظار الاثنين الباقيين منهم؛ وهو القول الذي شكّل مدخلًا لربط النبوءة بشخص السيوطي ونسبتها إليه.لقد شكّلت هذه الفتاوى الصادرة عن كبار العلماء في العالم الإسلامي مناراتٍ هاديةً للمسلمين في غرب أفريقيا، إذ أضاءت الطريق للسائرين على نهج الشريعة، وأسهمت في تقويم الانحرافات الفكرية والاجتماعية. فكتب التراث الإسلامي تزخر بفصول مطوّلة ودراسات معمّقة خصصها العلماء لنقد ومعالجة كثير من الظواهر الاجتماعية التي كانت تتجلى في تلك المجتمعات، ويظهر ذلك بجلاء في أجوبة الإمام السيوطي على الأسئلة التي وردته من بلاد تكرور، كما يتجلى كذلك في فتاوى محمد بن عبد الكريم المغيلي التي وجهها إلى الأسكيا محمد الكبير، سلطان مملكة الصنغاي. وإلى جانب هذه المراسلات، نجد نماذج رائدة في هذا الميدان من خلال مؤلفات أحمد بابا التنبكتي، التي تناول فيها بالنقد ظاهرة استرقاق المسلمين وبيّن مخالفتها لأحكام الشريعة، وكما برزت في مرحلة لاحقة كتابات عبد الله بن فوديو وأخيه عثمان بن فوديو، حيث عملا على التمييز بوضوح بين الإسلام الحق وبين الممارسات الوثنية المتغلغلة في بعض المجتمعات، منتقدين ما مثلته من ظواهر هدامة. وقد كانت هذه الجهود العلمية والفكرية من أبرز مظاهر النهضة الفودية الإصلاحية، التي أسهمت في إحياء روح التصحيح والتجديد الديني والاجتماعي في غرب أفريقيا. (ولد عمار، ٢٠١٢، ١٥٣)أهم بؤر الفساد والانحراف في بلاد السودان الغربي لقد أبرزت الفتاوى والرسائل الفقهية الواردة من علماء المشرق والمغرب، كالسيوطي والمغيلي، أنماطًا متعددة من مظاهر الفساد والانحراف التي تسربت إلى المجتمعات السودانية الغربية. وقد تمت معالجتها إما بالإفتاء والإرشاد، أو بالإصلاح والتغيير عبر وسائل إنكار المنكر المتاحة. ومن أبرز هذه البؤر:**المفاسد في العبادات:** مثل أحكام الوضوء، والتيمم، والغسل، والصلاة، وقضاء الفوائت، والزكاة، والصوم، والحج؛ إذ كانت هذه العبادات يشوبها كثير من اللغو والجهل بالكيفية الصحيحة، ما أدى إلى انتشار صور من التلاعب بالشعائر التعبدية.**المفاسد في الأحوال الشخصية:** كعقود النكاح والطلاق، التي كانت تُمارَس في كثير من الأحيان بصورة تُخضِع نصوص الشرع لتأويلات اجتماعية وعُرفية ذات جذور وثنية، مثل عدم الالتزام بأركان النكاح الشرعية، أو تجاوز الحد الشرعي في الزيجات.**المفاسد في المعاملات:** ومن ذلك البيع والشراء، والكراء والإيجار، والشفعة، والمساقاة، والمعاطاة، وغيرها من المعاملات التي شابتها المخالفات نتيجة الجهل أو التلاعب بالعقود.**المفاسد في الميراث:** حيث تسربت إليه بقايا الموروث الوثني، مثل توريث ابن الأخ وحرمان العصبة، وهي مظاهر انحراف سجلها السيوطي وغيره من العلماء في أجوبتهم وفتاواهم.

- **دور هذا اللقاء في تعزيز سلطة الإسلام في غرب إفريقيا.**

لقد أسهمت المراسلات العلمية والدينية بين الأسكيا محمد الكبير حاكم مملكة سنغاي، والإمام جلال الدين السيوطي، في إضفاء شرعية دينية قوية على سلطة الأسكيا داخل غرب إفريقيا. فقد كان الأسكيا يسعى، من خلال طلب الفتاوى والتوجيهات الشرعية، إلى تثبيت حكمه في إطار المرجعية الإسلامية، مما عزز مكانته أمام النخب الدينية والعلماء في المنطقة. كما أن ارتباطه بأحد كبار علماء العالم الإسلامي في عصره، وهو السيوطي، منح المملكة صلة مباشرة بالمركز الحضاري الإسلامي في المشرق، وأضفى على حكمه بعدًا عالميًا تجاوز حدود سنغاي. وبهذا اللقاء الحضاري، تعززت مكانة الإسلام كمرجعية عليا في تنظيم شؤون الدولة والمجتمع، وتكرست صورة الأسكيا محمد بوصفه حاكمًا شرعيًا يقود مشروعًا سياسيًا إسلاميًا موحدًا في غرب إفريقيا.إصلاح أحوال العامة لقد كان الفقه المالكي في بلاد السودان الغربي أداةً محورية في إصلاح أحوال العامة، والقضاء على بؤر الفساد والانحراف في العادات والعبادات. وقد تجلى هذا البعد الإصلاحي بوضوح في مضمون فتاوى الإمام جلال الدين السيوطي الموجَّهة إلى بلاد التكرور، وفي أجوبة محمد بن عبد الكريم المغيلي عن أسئلة الأسكيا محمد الكبير. فقد ورد في مقدمة رسائلهما التأكيد على قاعدة أصولية جامعة: إزالة الفساد واجبة على كل حال، وإن تعارضت مفسدة ومصلحة، فدرء المفسدة مقدَّم على جلب المصلحة، وإن تعارضت مفسدة دينية وأخرى دنيوية، فدرء المفسدة الدينية أولى، وكذلك إذا تعارضت مفسدتان، فدرء الكبرى مقدَّم على الصغرى، سواء تعلق الأمر بعالم أو عابد أو شريف أو أمير. ولقد وضعت هذه الفتاوى والرسائل الفقهية أسسًا وآلياتٍ عملية للتعامل مع صور الفساد المتفشية في تلك البلاد، والتي نتجت عن الجهل، وتسلط حكام السوء، وشيوع الخلط بين الموروث الوثني والشرع الإسلامي. ومن هنا جاءت جهود أئمة الإصلاح، وطلائع حركات التغيير في القرون اللاحقة (من الثامن عشر إلى العشرين الميلاديين) معبّرةً عن هموم قديمة كان قد شخّصها السيوطي والمغيلي وفقهاء عصرهم من المقيمين والوافدين، ويؤكد ذلك ما قاله الشيخ عثمان دان فوديو واصفًا شيخه جبريل، ومُبيّنًا أثره الإصلاحي: «ليعلم أهل بلادنا السودانية هذه بعض ما أنعم الله عليهم، ليجتهدوا في شكر الله تعالى على وجود الشيخ في هذا البلد، فيستوجبوا أكثر. ومن فضائله أنه بلغ الغاية في الاستدلال بالكتاب والسنة، وحضَّ الناس عليهما، ومنها أنّه كان أول من قام بهدم العادات الرديئة في بلادنا السودانية هذه» (**كَمَرَه**، ٢٠١٠، ص ٣٥)

المبحث الثالث: الأبعاد الحضارية والفكرية

- **أثر هذا اللقاء في نشر العلوم الشرعية في بلاد السودان الغربي.**

لقد كان اللقاء الحضاري الذي تمثّل في المراسلات بين الأسكيا محمد الكبير (١٤٩٣–١٥٢٨م) حاكم مملكة سنغاي، والإمام جلال الدين السيوطي (ت. ٩١١هـ/١٥٠٥م) من أهم المحطات التاريخية في ترسيخ العلوم الشرعية في السودان الغربي. فالأسكيا محمد، منذ توليه الحكم، سعى إلى تأسيس سلطته السياسية والدينية على أسس شرعية مستمدة من الشريعة الإسلامية، وإلى تأكيد التزامه بالمرجعية العلمية للأزهر الشريف وعلماء المشرق. ولذلك بادر إلى مراسلة السيوطي طالباً منه الفتاوى في قضايا الحكم، والمعاملات، والجهاد، وتطبيق الحدود، ليضمن أن نظام حكمه يسير في إطار الشريعة. هذه الخطوة لم تكن مجرد مسألة فردية، بل كان لها أثر بالغ على انتشار العلوم الشرعية في بلاد السودان الغربي، إذ فتحت الباب أمام تدفق الفقه المالكي والتفسير والحديث من المشرق إلى الغرب الإفريقي(Hunwick, 1974, p. 580) .لقد كان لهذه المراسلات دور مزدوج؛ فمن جهة عزّزت مكانة العلماء المحليين الذين وجدوا أنفسهم أمام واجب نقل هذه الفتاوى وشرحها للناس وربطها بالواقع المحلي، ومن جهة أخرى رفعت من قيمة العلوم الشرعية لتصبح معياراً للقيادة السياسية والاجتماعية. فأصبحت حلقات الدرس في تمبكتو وجاو وجيني أكثر ارتباطاً بالمدارس الكبرى في القاهرة وفاس، ما أدى إلى توحيد المرجعية العلمية والدينية. وبهذا، صار للفقهاء منزلة رفيعة، وبرزت مراكز علمية قوية مثل جامعة سنكوري في تمبكتو، التي احتضنت آلاف المخطوطات في الفقه والتفسير والحديث. وقد أسهم ذلك في تعزيز مكانة اللغة العربية كلغة تعليم وبحث، وأداة أساسية في تلقي العلوم الشرعية ونشرها، مما جعلها لغة الثقافة والعلم في هذه المنطقة (Bovill, 1995, 200) .إن أثر اللقاء لم يتوقف عند حدود عصر الأسكيا محمد، بل امتد لقرون لاحقة؛ إذ ترسّخ في وجدان المسلمين في السودان الغربي أن الحكم والسياسة لا يمكن أن تنفصل عن الفقه والشريعة، وأن المرجعية في ذلك لا بد أن تكون مرتبطة بالعلماء وبالاجتهاد الشرعي. وبفضل ذلك، أصبحت العلوم الشرعية أحد أبرز مظاهر الهوية الإسلامية في غرب إفريقيا، وأحد أهم ركائز الثقافة العلمية التي ظلت قائمة حتى مع دخول الاستعمار الأوروبي في القرون اللاحقة. (Singleton, 2004, 354)لقد كان موسم الحج محطةً عظيمة لتعزيز أواصر الأخوة الإسلامية، وإحياء روح التعاون والتكامل الحضاري بين مختلف أقاليم العالم الإسلامي. فقد تأثر الأسكيا محمد بما شاهده أثناء رحلته في مصر والحجاز من نماذج الحكم الرشيد والإدارة العربية الإسلامية، فعمد إلى تطبيق العديد من تلك التجارب في تنظيم دولته. فقلّد ما رآه من نظام إداري وقضائي متين، وأحاط نفسه

بمجموعة من العلماء العاملين الذين كان لهم الدور الأبرز في رسم سياسة المملكة وتوجيهها. وقد روي أن الأسكيا لم يكن يقف لأحد إلا للعلماء أو للحجاج القادمين من مكة، كما لم يكن يتناول الطعام إلا بحضور العلماء والأشراف، تقديرًا منه لمكانتهم ودورهم. (كعت، ١٩١٣، ٩)وفي إطار إصلاحاته، عمل الأسكيا على إبطال البدع والمنكرات، وإحياء معالم الدين، وإقامة العدل بين الناس، كما أولى مدينة تمبكتو عناية خاصة، فجعل منها حاضرة علمية كبرى تنافس أعرق مراكز العلم في العالم الإسلامي آنذاك، مثل الأزهر في القاهرة، والزيتونة في تونس، والقيروان، وفاس في المغرب الأقصى، والمدرسة النظامية في بغداد. ولم يقف تأثير هذه السياسة الإصلاحية عند عهد الأسكيا الحاج محمد، بل سار خلفاؤه من بعده على النهج نفسه في دعم العلماء ورعاية المؤسسات الدينية والتعليمية. (محمود، ١٩٨٥، ٤٠-٤١)استطاع الأسكيا أن يؤسس جيشًا قويًا ومدربًا مكنه من السيطرة على مناطق مالي وبلاد الهوسا، حتى أضحت بلاد الهوسا جميعها ضمن نفوذه، كما حارب الوثنية في السودان الغربي ودعا أهلها إلى الإسلام، فامتدت دولته من المحيط الأطلسي غربًا إلى تخوم بلاد الهوسا شرقًا، ومن الصحراء الكبرى شمالًا إلى فافا العليا جنوبًا. وهكذا دخلت مملكة سنغاي عصرها الذهبي. (مبيضين، ٢٠١٤، ٤٤١)ويصف القاضي محمود كعت هذا العهد بقوله: "الإمام العادل والفاضل أسكيا الحاج محمد، لما تولى، أقام طريقة سنغي وقرر فيها متطلبات الشرع" (كعت، ٢٠١٤، ٩١). وقد كان حج الأسكيا إلى بيت الله الحرام سنة (٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)، أي في السنة الثانية من توليه العرش، محطة أساسية في تعزيز مكانته الدينية والسياسية؛ إذ رافقه في هذه الرحلة عدد من الأعيان والعلماء مثل ألفا صالح جور ومحمود كعت، إضافة إلى ثمانمائة من العبيد والخدم (تنبكتي، ١٩٨٩، ٧٣). وهناك التقى بالخليفة العباسي، فألبسه قلنسوة وعمامة بيضاء، وأعطاه سيفًا، وأشهد الحاضرين على أنه خليفته بأرض التكرور، وأن من خالفه فيها فقد خالف الله ورسوله. (تنبكتي، ١٩٨٩، ٧٣)وبعد عودته من الحج، باشر الأسكيا جملة من الإصلاحات، كان من أبرزها إطلاق سراح من سجنهم سني علي من أهل البلاد والعبيد، ورد الأموال إلى أصحابها، وتعيين القضاة في مختلف الأقاليم. كما عيّن الشيخ أبو البركات محمود أكيت (ت ٩٥٥هـ / ١٥٤٨م) شيخًا للإسلام وقاضي القضاة في تمبكتو ، ويبدو أن هذا المنصب استوحاه الأسكيا مما رآه أثناء حجه في مصر والتقائه بالسيوطي، حيث كان لمنصب قاضي القضاة مكانة بارزة، وقد عُرف عن الأسكيا محمد تشجيعه للعلماء والفقهاء ومحبتهم وإكرامهم (ابن عسكر، ١٩٩٧، ص ١٣١). وبذلك مهّد الطريق أمام العلماء والدعاة للقيام بأدوار محورية في إدارة شؤون الدولة، وجعل إمارته نموذجًا لدولة إسلامية تحاكي النظم العربية الإسلامية في المشرق. (مبيضين، ٢٠١٤، ٤٤١).

- **مكانة اللغة العربية في ظل دولة الأسكيا.**

وقد أصبحت اللغة العربية لغة التعامل والتخاطب في السودان الغربي والأوسط، واستمر تطورها حتى يومنا هذا. بل إن الشعوب هناك تمسكت بها رغم الحروب الضروس التي شنّتها قوى الاستعمار، مستخدمة كل الوسائل الممكنة لفرض لغتها وثقافتها على الجميع. ومع ذلك، ظلّت العربية حاضرة بقوة في تلك الكيانات والدول، باعتبارها لغة الدين والثقافة الإسلامية، وظلّت المجتمعات المحلية متمسكة بجذورها العربية الإسلامية في مواجهة محاولات الطمس والاستبدال.[١٣] وقد قام المعلّمون والأئمّة والداعون للتصوّف بدورٍ كبير في نشر اللغة العربية في بلاد السودان الغربي، وذلك من خلال التعليم، والوعظ والإرشاد، والفتوى، والمراسلات، وكتابة العقود، لا سيما التجارية منها. وقد ساعد على ذلك تنوّع الخطوط العربية التي استخدمت، وما تحمله من جماليات فنية، مثل الخط الكوفي وغيره من الخطوط ذات الطابع الجمالي، خاصة في كتابة الآيات القرآنية.أما في بلاد السودان الغربي فقد غلب عليهم استخدام الخط المغربي في كتاباتهم، وهو ما أشار إليه المؤرخون بقولهم: "وكتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة" (القلقشندي، ١٩٨٧، ٢٨٧). ولا ريب أنّ بدايات انتشار العربية هناك ارتبطت بانتشار الإسلام، حيث كان الخطباء يلقون خطبهم بالعربية، ثم يقوم المترجمون بترجمتها إلى لهجات الناس حتى يفهم العامة كلام الخطيب. (ابن بطوطة، ١٩٨٥، ٦٨٦)يذهب بعض الباحثين إلى أنّ تجربة عثمان بن فودي لم تكن سوى امتدادٍ للمشروع الإصلاحي الذي وضع لبناته الأولى كلٌّ من جلال الدين السيوطي ومحمد بن عبد الكريم المغيلي. ويُرجَّح أن ابن فودي اطّلع على مؤلفاتهما واستفاد منها في بلورة مرجعيته الفكرية والسياسية، إذ يظهر من أعماله التي أنجزها أنّه تأثر بأسلوبهما في الكتابة باللغة العربية، وسار على نهجهما في التأليف وإنتاج المعرفة الدينية. (ولد السالم، ١٩٩١، ص ١٨٤)مكانة اللغة العربية في ظل دولة الأسكيا اتخذت أبعاداً حضارية ودينية وعلمية بالغة الأهمية، إذ ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بانتشار الإسلام ومؤسساته التعليمية والدعوية. فقد أدرك الأسكيا محمد الكبير ومن تبعه من حكام أن اللغة العربية ليست مجرد أداة تواصل، بل هي وعاء الدين ومفتاح العلوم الإسلامية، من فقه وتفسير وحديث وتصوف، ولذلك عمل على دعم انتشارها وتعزيز مكانتها في مجتمعه. فمع اتساع رقعة الدولة وازدياد الحاجة إلى إدارة محكمة وتنظيم فعال لمؤسسات الحكم، أصبحت العربية لغة المراسلات الرسمية والفتاوى الدينية والقرارات السياسية، إلى جانب كونها لغة التعليم في المدارس القرآنية والكتاتيب والزوايا. وقد ساهم هذا التوجه في رفع مكانة العلماء والفقهاء الذين أتقنوا العربية، فكانوا هم المرجعية العليا في الإفتاء

والتعليم والقضاء، كما لعبوا دوراً محورياً في ترسيخ الثقافة الإسلامية العربية في منطقة السودان الغربي. (Davidson, 1998, 78)ومن الناحية الثقافية والفكرية، أسهمت اللغة العربية في تشكيل هوية حضارية جامعة، جمعت بين القبائل والأعراق المختلفة تحت مظلة الإسلام، إذ لم تكن العربية مجرد لغة نخبويّة مقتصرة على العلماء والأمراء، بل انتشرت تدريجياً بين العامة من خلال حلقات التعليم في المساجد والأسواق، ومن خلال التلاوة اليومية للقرآن الكريم. ولأن العربية كانت لغة الشعائر الدينية والعبادات، فقد اكتسبت قدسية خاصة جعلت الناس يقبلون على تعلمها وحفظها، حتى أصبحت رمزاً للوحدة الثقافية والدينية بين شعوب السودان الغربي. كما أن تشجيع الأسكيا محمد على جلب العلماء من المغرب ومصر والحجاز أسهم في إثراء الحياة الفكرية باللغة العربية، حيث ظهرت مؤلفات فقهية وتاريخية ودينية كتبت بها، ما عزز مكانتها كلغة علم ومعرفة إلى جانب دورها الروحي.(Conrad, 2005, 29)وهكذا يتضح أن اللغة العربية في ظل دولة الأسكيا لم تكن مجرد لغة مفروضة بحكم الدين أو السياسة، بل غدت لغة حياة وثقافة وحضارة. فقد جمعت بين الجانب العملي المتمثل في الإدارة والسياسة، والجانب الروحي المرتبط بالدين، والجانب العلمي المتصل بالمعرفة والتعليم. وقد استطاعت أن تصمد في وجه تحديات الاستعمار الأوروبي لاحقاً، الذي حاول طمسها عبر فرض لغاته وثقافته، غير أن الشعوب الإسلامية في هذه المنطقة ظلت متمسكة بعروبتها الثقافية، فبقيت العربية حاضرة في التعليم الديني وفي الحياة اليومية، مما يبرهن على أن ما رسخه الأسكيا محمد الكبير من دعم للعربية لم يكن أثراً وقتياً، بل أساساً حضارياً طويل الأمد.

- **انعكاسات اللقاء الحضاري على وحدة الأمة الإسلامية.**

اللقاء الحضاري بين الأسكيا محمد الكبير وجلال الدين السيوطي لم يكن مجرد تبادل معرفي أو استشارة دينية، بل كان حدثًا فارقًا في ترسيخ قيم الوحدة الإسلامية وتفعيلها على أرض الواقع في السودان الغربي. فقد جسّد هذا اللقاء رمزية قوية لارتباط الأطراف البعيدة من العالم الإسلامي، من وادي النيل إلى أعماق الصحراء الكبرى، بروح العقيدة الواحدة والمرجعية الشرعية المشتركة، وهو ما منح شعوب غرب إفريقيا شعورًا بالانتماء إلى أمة إسلامية كبرى تتجاوز الحدود الجغرافية والعرقية. (الدالي، ١٩٩٦، ١٣٢)لقد أسهم هذا اللقاء في تحقيق وحدة فكرية وروحية بين المسلمين، إذ ساعدت الفتاوى والتوجيهات الصادرة عن السيوطي، والتي تبناها الأسكيا محمد، في توحيد الممارسات الشرعية وتنظيم الحياة الدينية وفق قواعد منضبطة بالشريعة الإسلامية، وهو ما حدّ من مظاهر التفرقة الدينية أو العادات المحلية التي كانت أحيانًا تُخالف أحكام الإسلام. وبذلك تحققت وحدة مرجعية دينية موحدة تُعيد إلى الأذهان الرابط الذي يجمع بين المسلمين على اختلاف أقاليمهم، وكما انعكست نتائج اللقاء على المستوى السياسي والاجتماعي، حيث عززت شرعية حكم الأسكيا محمد باعتباره "إمامًا" يتلقى دعمه من العلماء الكبار في العالم الإسلامي، ما منح الدولة في سنغاي صبغة إسلامية رسمية زادت من تماسك المجتمع الداخلي. هذا البعد ساعد على دمج المجموعات العرقية المختلفة تحت مظلة العقيدة الإسلامية، معززة بذلك الانسجام الاجتماعي الذي يُعد ركيزة من ركائز وحدة الأمة.(كعت، ١٩١٣، ٥٤-٥٥)وعلى الصعيد الحضاري الأوسع، فإن هذا اللقاء أسهم في تكريس صورة الإسلام كعامل جامع يوحد المسلمين من المغرب إلى المشرق ومن شمال إفريقيا إلى جنوب الصحراء، مما جعل الأمة الإسلامية تتجسد في وعي الأفراد ككيان حضاري عالمي يتخطى العصبيات القبلية والحدود الضيقة، وهو انعكاس مباشر لقيم "الأمة الواحدة" التي أكدها القرآن الكريم.

الخاتمة

لقد مثّل اللقاء الحضاري بين العالم العربي الإسلامي وبلاد السودان الغربي في ظل دولة الأسكيا نقطة تحول بارزة في تاريخ المنطقة، حيث لم يقتصر أثره على المجال السياسي أو العسكري، بل امتد ليشمل اللغة والدين والعلم والثقافة. فقد أصبحت اللغة العربية أداة للتواصل العلمي والفكري، ووسيلة لترسيخ القيم الإسلامية، كما ساهمت المدارس والزوايا والمساجد في نشر العلوم الشرعية، وتخريج العلماء الذين حملوا مشعل المعرفة إلى مختلف الأقاليم. وكان لهذا اللقاء أثر عميق في بناء وحدة فكرية وروحية عززت تماسك الأمة الإسلامية، ورسّخت الانتماء إلى هوية حضارية جامعة، على الرغم من التباين العرقي والجغرافي.إن تجربة السودان الغربي تكشف لنا كيف يمكن للحوار الحضاري والتبادل الثقافي أن يكون رافعة للنهضة والوحدة، وكيف أن الإسلام بقيمه ومبادئه الإنسانية قد شكّل إطاراً مشتركاً وحضناً للتنوع والاختلاف، فوحّد الشعوب تحت مظلة العقيدة واللغة والغاية المشتركة. ومن هنا تبرز أهمية استلهام هذه التجربة في حاضرنا، حيث يحتاج العالم الإسلامي أكثر من أي وقت مضى إلى تفعيل القيم الحضارية الجامعة، وبناء جسور الحوار والتواصل، من أجل تحقيق نهضة شاملة تتأسس على العلم والوحدة والهوية الراسخة.

الاستنتاجات:

١. يتبين أن اللقاء الحضاري الذي احتضنته دولة الأسكيا مثّل محطة بارزة في تاريخ غرب إفريقيا، إذ أسهم في بناء جسور تواصل معرفي وديني وثقافي بين شمال إفريقيا وبلاد السودان الغربي.

٢. ساعد هذا التلاقح الحضاري على ترسيخ مكانة اللغة العربية لغةً للعلم والدين والإدارة، مما جعلها أداة رئيسية لتوحيد الخطاب الثقافي والديني بين مختلف المكونات العرقية.

٣. أسهم انتشار العلماء والفقهاء في بلاد السودان الغربي في تأسيس مدارس ومعاهد علمية، كان لها أثر مباشر في نشر العلوم الشرعية، والارتقاء بمستوى التعليم والتربية الإسلامية.

٤. انعكست هذه الحركة العلمية والثقافية على وحدة الأمة الإسلامية، حيث أذابت الفوارق القبلية والعرقية، وجعلت الانتماء للدين الإسلامي هو الرابط الأساس بين أفراد المجتمع.

٥. أثبتت التجربة أن التواصل الحضاري بين المراكز الإسلامية الكبرى (كمصر والمغرب) ودولة الأسكيا في السودان الغربي كان عاملاً أساسياً في حماية الهوية الإسلامية من الذوبان أو الانحراف.

التوصيات:

١. ضرورة تعزيز الدراسات الأكاديمية حول دور دولة الأسكيا في التاريخ الإسلامي لإبراز إسهاماتها في النهضة الحضارية في إفريقيا.

٢. توجيه الباحثين للاهتمام بالمخطوطات والوثائق التاريخية التي خلّفتها تلك الفترة، والعمل على تحقيقها ونشرها خدمة للمعرفة الإنسانية.

٣. الاستفادة من تجربة اللقاء الحضاري في ظل دولة الأسكيا لتعزيز الحوار والتعاون الثقافي والديني بين الشعوب الإفريقية والعالم الإسلامي في العصر الحديث.

٤. دعم المؤسسات التعليمية والبحثية في إفريقيا لإعادة إحياء دور اللغة العربية كلغة تعليم وبحث، بما يعزز الهوية الثقافية والدينية لشعوب المنطقة.

٥. التركيز على إبراز القيم المشتركة التي أسسها اللقاء الحضاري، مثل التسامح والوحدة الدينية ونشر العلم، للاستفادة منها في معالجة التحديات الفكرية والاجتماعية المعاصرة.

المراجع باللغة العربية

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، (١٩٨٥)، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار)، ط١، لبنان، بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن عسكر ، محمد بن علي بن عسكر الحسني (١٩٩٧) دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، ط ٢ ، الرباط، دار المغرب.

الألوري، آدم عبد الله، (١٩٧٨)، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ط٢، لبنان، بيروت: دار العربية.

باز، كرم الصاوي، (٢٠٠٢)، البيت والعائلة السنغائية زمن الأسكيين، (بحث منشور)، مصر، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة.

بمبا، آدم (دراسة)، (٢٠١٤)، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس (لمحمود كعت)، ط١، سوريا/لبنان، مؤسسة الرسالة ناشرون.

بوفيل، إدوارد ويليام، (1988)، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير (ترجمة: الهادي أبو لقمة)، ط١، ليبيا، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس.

التكتيك، جميلة امحمد، (1998)، مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الأسكيا محمد الكبير ١٤٩٣-١٥٢٨م، ط١، ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية.

تنبكتي، أحمد بابا، (١٩٨٩)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط١، ليبيا، طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية.

جوزيف، جون، (١٩٨٤)، الإسلام في ممالك وإمبراطورية أفريقيا السوداء (ترجمة: مختار السويفي)، ط١، مصر، القاهرة: دار الكتاب المصري.

حسن، حسن إبراهيم، (1957)، انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، ط١، مصر، القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي.

حسن، حسن إبراهيم، (١٩٦٣)، انتشار الإسلام في القارة الأفريقية، ط٢، مصر، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الدالي، الهادي، (١٩٩٦)، الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب أفريقيا، ط١، لبنان، بيروت: دار صنين للطباعة والنشر.

زبادية، عبد القادر، (١٩٧٤)، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي عليها (تقديم وتحقيق)، ط١، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

زبادية، عبد القادر، (١٩٧٨)، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، ط١، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

السعدي، عبد الرحمن بن عبد الله، (1964)، تاريخ السودان (نشر: أوكتاف هوداس)، ط٢ (مصورة)، فرنسا، باريس: مطبعة المخطوطات الشرقية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (١٩٦٧)، حُسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، ط١، مصر، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (١٩٧٢)، التحدث بنعمة الله (تحقيق: إياد خالد الطباع)، ط١، مصر، القاهرة: المطبعة العربية الحديثة.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (٢٠٠٠)، الحاوي للفتاوى، ط١، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (٢٠١٣)، تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك، ط١، لبنان، دار الكتب العلمية.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (٢٠٢٤)، رسائل بلاد التكرور (تحقيق: محمد جمال الشوربجي)، ط١، مصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشحي، خولة، (٢٠٢٥)، أدب الرحلات في التاريخ الإسلامي وإثراؤه للتواصل الحضاري: دراسة وصفية، ط١، العراق، مجلة الآداب – جامعة بغداد (العدد ١٥٢).

طرخان، إبراهيم علي، (١٩٧٣)، دولة مالي الإسلامية: دراسة في التاريخ الأفريقي، ط١، مصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

طرخان، إبراهيم علي، (١٩٧٥)، إمبراطورية البرنو الإسلامية، ط١، مصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

عبد الرازق، مصطفى محمود، (١٩٩٢)، موجز تاريخ مملكة السنغاي، ط١، مصر، القاهرة: دار الفكر العربي.

علي، عبد العزيز عمر، (١٩٨٧)، أضواء جديدة حول مملكة سنغاي، ط١، لبنان، دار الثقافة العربية.

الفيتوري، عطية مخزوم، (١٩٩٨)، دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء، ط١، ليبيا، منشورات جامعة قاريونس.

فيج، جيه دي(Fage, J. D.) ، (١٩٨٢)، تاريخ غرب أفريقيا (ترجمة: السيد يوسف نصر)، ط١، مصر، القاهرة: دار المعارف.

القلقشندي، أحمد بن علي، (١٩٨٧)، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط١، لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية.

الكعت، محمود ابن مختار، (2014)، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس (دراسة وتعليق: آدم بمبا)، ط١، لبنان، بيروت: مؤسسة الرسالة.

كعت، محمود بن المختار، (١٩١٣)، تاريخ الفتاش (نشر: هوداس ودلافوس)، ط١، فرنسا، باريس: مطبعة برديين.

كَمَرَه، موسى بن أحمد . (2010) . زهور البساتين في تاريخ السوادين .تقديم وتعليق: ناصر الدين سعيدوني ومعاوية سعيدوني. الكويت: مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

كير، زبو جوزيف، (١٩٧٨)، تاريخ أفريقيا السوداء (ترجمة: عادل عمر)، ط١، فرنسا، باريس.

مبيضين، مهند أحمد، (٢٠١٤)، فتاوى المغيلي مصدراً لتاريخ مملكة سنغاي، ط١، الأردن، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية (مج ١٠).

محمد، شعبان محمود، (٢٠٠٣)، القبائل العربية الليبية في السودان الأوسط، ط١، ليبيا، طرابلس: منشورات جمعية الدعوة الإسلامية.

محمود، عبد الحليم، (١٩٨٥)، المسلمون في أفريقيا جنوب الصحراء، ط١، مصر، القاهرة: دار المعارف.

المغيلي، محمد بن عبد الكريم، (١٩٧٤)، أجوبة المغيلي على أسئلة الأسقيا، ط١، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

منصور، فايز علي، (١٩٩٧)، أسكيا الحاج محمد وإحياء دولة السنغاي الإسلامية، ط١، ليبيا، طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية.

الناصري، أحمد بن خالد، (١٩٥٥)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ط١، المغرب، الدار البيضاء: دار الكتاب.

الوزان، الحسن (ليون الأفريقي)، (٢٠٠٥)، وصف أفريقيا (ترجمة: عبد الرحمن حميدة)، ط٢، مصر، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الوفراني، محمد الصغير، (١٨٨٨)، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي (نشر: أوكتاف هوداس)، ط١، فرنسا، أنجي: مطبعة غوردن وبريسين.

ولد سالم، حماه الله، (١٩٩١)، مساهمة في دراسة تاريخ الحياة الدينية في السودان الغربي: الدين والعلم في عصر الأسقيا، (رسالة دبلوم الدراسات العليا)، المغرب، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.

ولد عمار، هارون ، (٢٠١٢)، التأثر والتأثير في الفتوى الفقهية الموريتانية، ط١، موريتانيا، نواكشوط: دار الرضوان.

المراجع باللغة الإنجليزية

Hunwick, John O., (1974), "Source Materials for the History of Songhai, Borno and Hausaland in the Sixteenth Century," Journal of the Historical Society of Nigeria, Vol. 7, No. 3, pp. 579–586, Nigeria, Historical Society of Nigeria.

Bovill, Edward William, (1995), "The Rise and Fall of the Songhai Empire" in The Golden Trade of the Moors: West African Kingdoms in the Fourteenth Century, 2nd revised edition, USA, Princeton: Princeton University Press.

Singleton, Brent D., (2004), "Rulers, Scholars, and Invaders: A Select Bibliography of the Songhay Empire," History in Africa, Vol. 31, pp. 357–368, USA, Cambridge University Press.

Davidson, Basil, (1998), West Africa before the Colonial Era: A History to 1850, 1st edition, United Kingdom, London: Routledge.

Conrad, David C., (2005), Empires of Medieval West Africa: Ghana, Mali, and Songhay, 1st edition, USA, New York: Facts on File (Infobase Publishing).

Dubois, Félix. Tomboctou la mystérieuse. Paris: Flammarion, 1897, p. 153

---

[١] تعني المغتصب استناداً لما أورده السعدي أنه لما بلغ بنات سني علي خبر انتصار الأسكيا محمد علي أبيهن في معركة فاصلة وتولى الأسكيا محمد عرش مملكة سنغاي قلن أسكيا ومعناه في كلامهن لا يكون إياه فلما سمعه أمر الا يلقب الا به فقالوا أسكيا

[٢] نسبة إلى شعوب السنغاي والقاطنة حول روافد نهر النيجر

[٣] ويقصد بها المناطق الواقعة بين حوض نهر السنغال والحوض الأوسط لنهر النيجر ونهر غامبيا والمجرى الأعلى لنهر فولتا

[٤] أحد الشعوب التي تسربت إلى منطقة غرب أفريقيا وأصبحوا تابعين الامبراطورية غانا والتي ظهرت في منطقة غرب أفريقيا فيما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين

[٥] مجموعة من الإمارات تقع اليوم بين نهر الفولتا وانحناء نهر النيجر

[٦] تتكون هذه الولايات من سبع ولايات وهي كانم، ورانوا، وكاستنا، وزازو، وررزايا، وجوبر وبرام ، وتمتد جغرافيا في المناطق الواقعة بين بحيرة تشاد ، والنيجر الأوسط غرباً.

[٧] إحدى الممالك الإسلامية التي قامت في منطقة وسط أفريقيا خلال الفترة الممتدة من أواخر القرن الثامن الهجري وحتى القرن الثالث عشر الهجري.

[٨] قد تكون نسبته هي «الأسيوطي»، غير أنّ والده اختار له صيغة «السيوطي»، لما تمتاز به من سهولة في النطق، لتكون النسبة المعتمدة للتعريف بأسرته.

[٩] إلى جانب العديد من الكتب والمقالات التي تناولت موضوعات وجوانب محددة من أعمال السيوطي، فقد وُصفت سيرته الذاتية بتفصيل كبير في مؤلفات مختلفة. ومن أبرزها كتابه «التحدّث بنعمة الله»، وهو سيرته الذاتية التي قدّم لها وحقّقها سارتين (١٩٧٥)، كما تناول شخصه في كتابه «حسن المحاضرة» (١٩٩٧). إضافة إلى ذلك، كتب اثنان من تلامذته ترجمات له، وهما: الشاذلي (١٩٩٨) وشمس الدين الداودي. وقد اطّلع سارتين (١٩٧٥) على ميكروفيلم لعمل الداودي (ترجمة السيوطي) المحفوظ في مؤسسة التراث البروسي، مستودع مكتبة الدولة. أما التراجم الحديثة فقد شملت أعمال كلٍّ من: عمادة (١٩٨٩)، عبد المعطي (١٩٩٢)، أبو حبيب (١٩٩٣)، المطوي (١٩٩٥)، الطبّاع (١٩٩٦)، وشَلَبي (1998).

[١٠] تأسس المذهب الشافعي على يد العالِم العربي محمد بن إدريس الشافعي (ت. ٢٠٤هـ/٨٢٠م) في أوائل القرن التاسع الميلادي، ويُعدّ واحداً من المذاهب الفقهية الأربعة في الإسلام السني. وعلى الرغم من غياب البيانات الديموغرافية الدقيقة لكل دولة، يشير سعيد (٢٠٠٨: ١٧) إلى أن المذهب الشافعي يحتل المرتبة الثانية من حيث عدد الأتباع.

[١١] من أهم المراكز الثقافية بمنطقة غرب أفريقيا نشأت في أواخر القرن الخامس الهجري /الحادي عشر الميلادي وبلغت قوة الازدهار في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي.

[١٢] هم فرع من قبائل الفولاني، هاجروا من بلاد التكور وكونوا طبقة حاكمة في أقليم كانياجا التابع لإمبراطورية غانا.

[١٣] عندما كنت سنة ٢٠٠٤ كنت أن أصلاً إلى العاصمة أنجمينا العاصمة أتساءل عن اللغة التي تسود، وظني يعود إلى الفرنسية كما تحاول الدعاية ظهور ترسيخها في العقول فوجدت تماما شعبا متمسكا بأصالته الأفريقية العربية تتحدث العربية بطلة الإبداع في المدن وتشارى وحتى في البوادي والأرياف، حتى طالبوا الجامعة العربية بضمهم إليها؟